بسم الله الرحمن الرحيم

«رِثَاءُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ: رَبِيعِ بِنْ هَادِي الْمَدْخَلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ»

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

أَمَّا بَعْدُ:

لقد ابتلينا في هَذَه الليلة ليلةِ الخميس، الْمُوَافِقِ للخامسَ عشر مِنْ شَهْرِ المحرم لِعَامِ سبعة وَأَرْبَعِينَ بَعْدَ الْأَرْبَعِ مِئَةٍ وَالْأَلْفِ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ **بموت فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي**، عن عُمر يزيد على التسعين سنة رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولكن لا نقول إلا ما يرضي ربنا، وهو ما جاء فيما أخرجه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا».

والله جل وعلا يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

وعن فقدِ العلماء:

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: خَرَابُهَا بِمَوْتِ فُقَهَائِهَا وَعُلَمَائِهَا وَأَهْلِ الْخَيْرِ مِنْهَا. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ أَيْضًا: هُوَ مَوْتُ الْعُلَمَاءِ.

أخرج الشيخان عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «المنهاج»: هَذَا الْحَدِيث يُبَيِّن أَنَّ الْمُرَاد بِقَبْضِ الْعِلْم فِي الْأَحَادِيث السَّابِقَة الْمُطْلَقَة لَيْسَ هُوَ مَحْوه مِنْ صُدُور حُفَّاظه، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَمُوت حَمَلَتُه، وَيَتَّخِذ النَّاس جُهَّالًا يَحْكُمُونَ بِجَهَالَاتِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ .

وأخرج الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ - وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ».

لقد كان للسلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مصيبة موت العلماء أقوال كثيرة، ومن ذلك:

ما أخرجه الحافظُ أبو عمر ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامع بيان العلم وفضله»: عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لَمَوْتُ أَلْفِ عَابِدٍ قَائِمِ اللَّيْلَ صَائِمِ النَّهَارَ أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ الْعَامِلِ الْبَصِيرِ بِحَلَالِ اللهِ وَحَرَامِهِ».

وأخرج البزار في «مسنده» عَنِ الْحَسَنِ البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «مَوْتُ الْعَالِمِ ثُلْمَةٌ فِي الْإِسْلَامِ

لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ مَا طُرِدَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ».

وأخرج أبو نعيم في «الحلية»: عَنْ أَيُّوبَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَيَبْلُغُنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَاتَ فَكَأَنَّمَا أَفْقِدُ بَعْضَ أَعْضَائِي».

وذكر الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «السير» عن يَحْيَى بنِ جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: لَوْ قَدرْتُ أَنْ أَزيدَ فِي عُمُرِ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ مِنْ عُمُرِي لفعلْتُ، فَإِنَّ مَوْتِي يَكُوْنُ مَوْتَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَموتُهُ ذهَابُ العِلْمِ.

إن من عقيدة أهل السنة الجماعة أنْ لَا يُذْكَرَ العلماءُ إِلَّا بِالْجَمِيلِ.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته: وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ - أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ- لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ.

فلئن فقدْنا عَلَمًا مِن أعلام السلفية في بلاد الحرمين بل في العالم كله، **وهو فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ، حامل لواء الجرح والتعديل في زماننا، كما قال عنه العلماء.**

فعزاؤنا بقاء علمه بيننا، فأرجو من طلابه أن يحرصوا على إظهار علمه في الناس، بنشر شروحاته، والبقاء على دربه وسبيله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في: «مجموع الفتاوى»: قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَهْلُ السُّنَّةِ يَبْقَوْنَ وَيَبْقَى ذِكْرُهُمْ وَأَهْلُ الْبِدْعَةِ يَمُوتُونَ وَيَمُوتُ ذِكْرُهُمْ. اهـ

ومع أنني لم أتمكن من الدراسة على فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ مدة وجودي في الرياض ببلاد الحرمين؛ نظرا لظروف عملي، ولم ألتقه إلا مرة واحدة، إلا أنني رأيت فيه سمتَ العلماء وهيبتَهم.

فرحم الله الشيخ ربيعًا، وأسكنه فسيح جناته، وحفظ الله من بقي من علمائنا ومشايخنا، كشيخنا العلامة صالح الفوزان، وفضيلةِ شيخنا عبد العزيز الراجحي، فلم يبق ممن أخذنا عليه العلم سواهما، متعنا الله بحياتهما على طاعته.

والحمد لله على كل حال.

ليلة الخميس: ١٥/ ١/ ١٤٤٧هـ